الزوجة (١)

« المرأة اما سبب خلاص او هلاك العائلة لانها تحمل في ثنايا ردائها مصير كل فرد من افرادها »
(اميل)

« لا يوجد في العالم كله جوهرة اكثر قيمة من امرأة فاضلة عفيفة » (سرفانت)

« امرأة صالحة كنزٌ مخفيٌ ومن يجدها لا يحق له سوى الافتخار » (كاتب فرنساوي)

كنوز الارض وجواهرها ولآلئ البحر ومخبآته لا تعادل كنوز الراحة والتعزية المدفونة في صدر زوجة اعطت قلبها لرجلها وقامت بكل مطالب الزوج في اوسع واكمل معنى الكلمة . وهذه الكنوز لا يقدر على استخراجها سوى الدهر بفؤوس تقلباته وبلاياهُ . مع ان الزوجة اضعف تكويناً من الرجل ولكن لها قوة في احتمال رزايا الزمان تتصاغر عندها همم الرجال اذ تتجرع غصصها بدون هلع ولا جزع كأنها طود من الاطواد الراسيات التي لا تقدر على زحزحته الطبيعة بكل قواها بينما الرجل تضيق به الارض وتذهب امامها نفسه شعاعاً ومسي ذليل النفس منقبض الصدر . بل تلك المصائب التي توهن عظم الرجل وتطرحه على الارض عديم القوة تمد المرأة الضعيفة بجيوش البسالة والاقدام وترفع شأنها الى حد يكاد الانسان لا يصدقه . لا يوجد منظر مؤثر ومؤلم كمنظر امرأة

(١) معربة عن وشنطون ايرفنج الامريكاني

رقيقة القلب حنونة الصدر ناكسة عنقها لحمل نير غيرها فبينما هي تخطر في ثوب الرخاء والسعادة نجدها واذ هي قد لبست رداء الصبر كي تكون خير تعزية لزوجها عندما يجور عليه الزمان الظالم ويطعنه بسهامه المسمومة وهي تقاوم هذا الجور بعزم لا يعتريه رجوع الى الوراء

يوجد نوع من النبات يسميه علماء هذا الفن بالنبات الطفيلي لانهُ ينمو حول غيره ملتفاً عليه فهذا النبات يحمي البلوطة العظيمة عند هبوب العواصف ولولاه لكانت اقل عاصفة تقتلع البلوطة الكبيرة من جذورها فهكذا العناية دبَّرت منذ وجود اول امرأة ان المرأة زينة الرجل وخاضعة لسلطانه في صفو الايام ولكنها عوناً له وترساً يقيه سهام المحن بل ينبوع تعزية له عندما تهطل عليه مصائب الدهر ولولا تلك الحقيرة في عينه والمزدري بها عنده لأصبح لعبة في يد الاقدار . المرأة تسند رأس الرجل الذابل على صدرها صدر الحنان والشفقة وتجبر له قلبه الكسير بعدما تضمد جروحه ببلسم الحب الناجع من مصائب الزمان

قال الكاتب الاميركاني وشنطون ايرفن « مرة كنت اهنئُ صاحباً لي وكانت عائلته زاهرة قد سقاها غيث الحب وربطها عقد الوداد الخالص فقال لي بحماس يبرهن على سعادته المنزلية : اني لا اتمنى لك افضل من هذا . ان تكون لك زوجة واولاد فان كنت في السراء فهم يتناظرونك وان كان الامر بالعكس فهم تعزية وسلوان لك »

والاختبار علَّم البشر في مدرسته ان المتزوج اذا داهمته الخطوب وغاص في بحرٍ من الهموم ووقع في وهدة اليأس امكنه ان يسترجع حالته

الاصلية وله ما يؤهله لذلك اكثر من الغير المتزوج اولاً لان حال تابعيه المكلف بجمع رزقهم يبعث فيه روح الهمة والنشاط ونظره لاحدهم يطلقه من عقال الفتور والارتخاء فيقوم حباً وكرامة سعياً في الحصول على حجياتهم المعيشية ويجاهد في ميدان الحياة . والباعث الأهم وهو الامر الثاني لانه يجد من يخفف عنه الحمل ويهوّن عليه حبائل المصائب بالفاظ عذبة ويجد ان له كرامة في البيت مع انه في الخارج هدفاً لسهام جنود الذل والهوان فيسرع الى البيت في آخر النهار وهناك يجد نفسه في عالمٍ صغير - عالم المحبة — مملكة المحبة - وهناك يجلس على عرش هذه المملكة مطلق التصرف . القول اذا قال واذ ذاك ينسى ما لحقه في يومه من ضروب الذل وانواع الاحتقار . بينما العازب يكون عرضة للفساد لانه كالطريد الذي لا يعتني بامره احد وقلبه هدفاً لسهام الحزن والأسى كقصر مهجور فلا يجد من يرحمه عندما تنتابه عوامل الوحشة وتتراكم عليه جيوش الهموم

كان باميركا شخص من اهل اليسار متزوج بغادة قد افرغها الخالق في قالب الجمال فلم يمضِ وقت طويل من زواجه الاّ وحالف الدهر على معاداته — الدهر لا يرحم منظر جميل يتألم — سلط الدهر وحش المضاربات على « لسلى » - لان هذا اسمه - ولم يرجع عنه حتى اصبح صفر اليدين لا يملك شروى نقير . تخفي حقيقة الحال على زوجته ومما كان يزيد طينة حزنه بلة وطنبور شقائه نغمة ابتسام الكلفة في وجه زوجته ولكن لم تنطلِ عليها ظواهر الكلفة وقد نظرت بعين المحبة السهم المطعون

به في قلبه علاوة على إن زفراته الحارة التي كان يضيق عليها الخناق فتموت قبلما تولد قد نمت اليها وكان يناجي نفسه ويقول « اني خلقت انا حتى تشقى هي . نعم ان هذا المحيا الطلق تذهب نضارته . هذا السرور المعسكر عن وجنتيها يرحل عن قريب . والسعادة الكائنة في قدس اقداس هذا الهيكل البشرى الجميل تفيض روحها قبل حلول الاجل » ولكن رغماً عن ارادته بسط لها حقيقة الامر وكان يقول في نفسه « ان هذا الخبر يقع عليها وقع السهام . انه ضربة ناضية على آمالها العظيمة بل قاضية على حياتها . يا ترى كيف تكون حالها عندما تسمع ان الفقر بسط جناحيه علينا وحل بجيوشه في بيتنا . أاجسر واعلمها اني سحبتها من حجر الرفاهية واركبتها معي في مركبة الفقر والحاجة واين مقدرتها على محاربة هذا العاتي . كيف تقدر على احتمال مرارة الوحدة ووحشتها وبالامس كانت معبود بني قومها . بالامس كانت سيدة في بيت كله خدم وحشم وتصبح الخادمة » ؟

ولكن ذهب كل كلامه هذا هباءً منثوراً اذ حال سماعها الخبر كأن حملاً ثقيلاً نزل عن عاتقها وقالت بكل لطفٍ

« أهذا سبب حزنك وكدرك ؟ اصرف عنك هذه الهموم وعد الى حالتك الاصلية واستبدل لنا هذا القصر بمنزل بسيط » واخذت على عاتقها من تلك الساعة محاربة الدهر واعوانه بسلاح الصبر والمجاهدة في ميدان الحياة حتى امكنها الفوز عليه بعد قليل من الزمن والعود الى ما كانت عليه من الرخاء والسعادة وذلك هو الغرض العظيم الذي لاجله اوجد

الخالق الزوجة اذ قال « لتكن معيناً لك »

يوجد في صدر كل امرأة حقيقية شرارة من النار السماوية تبقى خامدة في مكانها ما دام اليسر والرخاء يكتنفانها ولكن متى حلّ العسر وطرد بجيوشه اليسر تشتعل هذه الشرارة وتضيء بلمعان حتى تحفظ زوجها من السقوط في وهدة اليأس

ايها الرجل الذي تبتغي الراحة في هذا العالم هل عرفت ان الزوجة ملاك سماوي بعثته العناية من السماء لخدمتك ؟ اعلم انها ملاك في شكل امرأة ولا تظهر بشكلها الملائكي الاّ عندما تعصف بلايا الدهر حيث تقدر ان تنجيك منها . هل عرفت ان اتعابك في الحصول على السعادة والراحة لا تأتي بفائدة ما الاّ اذا اشتركت معك فيها . فان كنت تعلم ذلك لماذا تحرمها من حقوقها ؟

بياوي غالي بالسودان

« جاءتنا هذه القصيدة التاريخية من حضرة ناظمها البليغ تهنئة بعيد الدستور المجيد وبما اننا نشارك حضرته في هذه التهنئة فقد نشرناها هنا تذكاراً لذلك العيد السعيد »

﴿ تهنئة تاريخية ﴾

بعيد الدستور السعيد

عيدُ عز الدستورِ بالامن اسفر ... نوره للانام أللهُ أكبر
آل عثمان حاكمُ اليوم يوم ... هال القلب فيه بشرا وكبر
يوم عيد الحرية التي بتنا زماناً لبعدها نتحسر
كل حرية بغير حماة ... لا يراعي زمامها من تجبر